



الدفع يعود إلى البيت الخليجي

## المصالحة الخليجية مع قطر لا تفكك الرباعي العربي

### تحديات إقليمية تدفع القاهرة لتعظيم التحالف مع السعودية والإمارات والبحرين

قد لا تتفاعل مصر كثيراً مع ملف التطبيع الجديد مع إسرائيل ولا تتحمس لأهدافه، لكنها لا تستطيع الوقوف في وجهه، وتتعاقد معه دول الرباعي العربي بصورة عملية، حيث تتجنب كل دولة دخوله بمفردها، وتعلم أن الطريقة الجماعية أكثر جدوى وأقل حساسية، فوجود مصر مع الدول الثلاث، والعكس، يمنحها قوة عند دخول وصيغة الرباعي عززتها وهمشت بعض غيرها، ومن ثم فالمحافظة على الرباعي ضرورية.

أصبحت الأنظار تتجه نحو تطوير صيغة التعاون بين دول الرباعي، الذي ترافق ظهوره مع الأزمة القطرية، وأن غيابها حتمي مع تسويتها أو تسوية أجزاء فيها على مراحل، وهو ما تسعى إلى تحاشيه القاهرة حالياً. فمع استمرار أوضاع العراق وسوريا واليمن وليبيا والجزائر وتعاضم المشكلات، سوف تكون حريصة على الرباعي.

درجت السياسة المصرية على أن تكون أكثر فاعلية بما يتوافق لها من دعم وغطاء عربيين، ووسط أجواء تتزايد فيها التحديات والمطالبات، بات البعد العربي ضرورياً. ومهما تصاعدت المخاطر القاهرة في تعاون مع دول من الشرق والغرب، والشمال والجنوب، تظل الساحة العربية هي المجال الحيوي الذي تنصهر فيه إرادتها، ما يدفعها للحرص على عدم التفريط في فكرة الرباعي العربي.

ويبدو القصور في هذه النظرة حاضراً في عدد من الجوانب، أبرزها أن منطقة الخليج في غاية الأهمية للأمن القومي المصري، ولم يفتر التركيز عليها يوماً ما، في السراء والضراء، في ظل وجود الرباعي العربي أو بدونه. بالتالي، فاقصرت المصالحة على الشق الخليجي لا يعني تخلياً مصرياً، فالروابط المشتركة إستراتيجية وصيغة الرباعي عززتها وهمشت بعض التناقضات التي عرقت صفو العلاقات في مراحل سابقة، وقربت المسافات في قضايا حيوية، وجعلت الخلاف محصوراً في جوانب تفصيلية.

تعلم القاهرة أن ابتعادها عن الرباعي يمنح الفرصة للمزيد من التآكل في الجسم العربي. فقد سدت الدول الأربع نقصاً خطيراً، بعد أن قادت تداعياته إلى تفكك بعض الدول. وعندما تتوافر درجة من التنسيق، كما هو حاصل الآن، من الممكن تقليل المخاطر على الأمن العربي عبر خطوط ممتدة لكل دولة من الرباعي على فضاءات عديدة.

ويقوض استمرار التعاون حجم التهديد في المنظومة العربية في ظل المعاناة التي تحيط بالعمل المؤسسي من خلال الجامعة العربية، وربما من ركزوا على البعد الخليجي في المصالحة مع قطر، كانت أعينهم مصوبة على هذه النقطة التي تصب حصيلتها في صالح إيران وتركيا وإسرائيل، وهو ما تنتبه إليه دول الرباعي العربي.

حيث يمثل ذلك مكسباً مضاعفاً لكل دولة يمكنها من التعامل مع التحولات المنتظرة بصورة أكثر قوة. وأكدت تصريحات رسمية صدرت في الدول الخليجية الثلاث أهمية مصر بالنسبة إليها، والعكس. ولا تعني فترة الحذر والريبة التي أثارها القمة الخليجية تقديراً من العلاقات بين الجانبين، أو أن شرخاً حدث بينهما، فكل منهما يعي مغية انفراد بعض الرباعي، حيث يقلل من الوزن الجماعي في بعض المحركات الإقليمية.

### التطورات الإقليمية تفرض عدم التفريط في التحالف الرباعي، فهناك مواجهة ممكنة مع إيران ولا أحد يعرف بوصولها المقبلة

وصوبت الأنظار نحو القاهرة مع تكرار الحديث عن اختزال المصالحة في صيغتها الخليجية، ومع أن وزير الخارجية سامح شكري حضر قمة الغلا، لكن البعض تصور أنه حضور دبلوماسي ولا يحمل مضموناً سياسياً متيناً، وأن القاهرة على وشك رفع يديها عن التعاون مع ثلاثي خليجي وفر لها دعماً مادياً وسياسياً مهمين، وتتطلع للبحث عن مصالحة بشكل فردي أو بشكل جماعي في فضاء آخر.

وجماعة الإخوان، وبدأ بعدها بنجلى ويميل ناحية التمسك بعدم وجود تغيير في ثوابتها نحو الجهات الثلاث، والتي تمنعت نتائج القمة في علامة توجي بالثقة في عدم التخلي عنها من قبل الدوحة، وكانها ليست مغنية بالخطوط العربية التي تستهدفها. تستدعي هذه القضية وحدها الحفاظ على استمرار التحالف بين دول الرباعي العربي، فمن الممكن أن تظهر نزوات عقب ردود الفعل القطرية حيال الملفات التي أدت إلى اندلاع الأزمة معها، تستوجب توطيد التعاون والتنسيق بين الرباعي، وعدم تصوير المشهد باعتباره هزيمة لدولة أو نصراً مؤزراً لقطر.

كما أن التطورات الإقليمية المفتوحة على احتمالات مختلفة تفرض عدم التفريط فيه، فهناك مواجهة ممكنة مع إيران ولا أحد يعرف بوصولها المقبلة، وتغلغل تركي لا أحد يتوقع مدها ومراميه في المنطقة، وهناك تعاون عربي صاعد مع إسرائيل في ملفي التسوية السياسية والتطبيع، وما يمكن أن يترتب على كليهما من أبعاد تؤثر على التوازنات الإقليمية المعرضة لتقلبات جديدة مع الإدارة الأميركية الجديدة.

وتحرص الدول الأربع على عدم تعريض ما حققته إلى هزات سياسية، لأن التحديات تكاد تكون متشابهة، ربما تكون هناك فروق في التفاصيل، غير أنها في الجوهر تستدعي عدم التفريط في المكونات الخلاقة للتنسيق بينها،

تحالف الدول الأربع المقاطعة لقطر يحيط رهانات من خارجه على أنه سيتأثر بشكل كبير تحت وقع المصالحة الخليجية مع الدوحة. لكن المؤشرات، إلى حد الآن، تؤكد أن التحالف صامد خاصة أنه نجح في استيعاب خصوصيات كل بلد ومطالبه وحدود تحركه.

لاي تباين أن يحدث مفعوله السلبى، وخرجت القمة بحد مقبول من التوافق الرباعي جعل إمكانية التفاهم مرنة مستقبلاً في أي من القضايا الإقليمية التي تهم المصالح المشتركة. وفي خضم ما بدا كأنه عدم رضا على التطورات الأخيرة قبيل القمة وبعدها، لم تنحرف القاهرة عن المسار الرباعي، كذلك فعلت الإمارات والبحرين والسعودية. فإذا كانت نواته وضعت وسط احتدام الخلاف مع قطر، إلا أن جدواها الإقليمية أصبحت أبعد منها، فقد أصبح تجمعاً عربياً مهماً للتعامل مع بعض المعطيات الإقليمية المقبلة.

وتجاوزت مسؤولية الرباعي الأزمة مع قطر في مواقف كثيرة، وتحول إلى بونقة لتوطيد العلاقات بين دوله، والتي أصلاً كانت جيدة، ومعه بدأت تأخذ إطاراً سياسياً أوسع، لأن القضايا التي أوجدت الخلاف مع الدوحة لها تشابكات ممتدة، ولا تتوقف عليها، لأن المصالحة تمت مصحوبة بقدر عالٍ من الضبابية في المطالب الرئيسية التي تبدو قطر طرفاً فيها، لكن الروافد الناجمة عنها تتجاوزها كثيراً.

ظهر الموقف القطري في القمة الخليجية غامضاً حيال إيران وتركيا

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري



حققت المصالحة التي جرت مع قطر في القمة الخليجية الأخيرة، جانباً من أهدافها الظاهرة للأطراف التي انخرطت فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، ولا تزال اختبارات صمودها مستمرة كي تصل إلى غاياتها النهائية، فما تم في قمة الغلا السعودية حلقة تنتظرها حلقات عدة لاستكمال العقد السياسي الضمني.

وقد تصورت بعض الدوائر أن طريق المصالحة الذي رسمت خارطة طريقه في الغلا، يعني تفكيكا لتفانينا لتتحالف الرباعي العربي، بين مصر والسعودية والإمارات والبحرين، حيث نشأ في كنف المقاطعة مع قطر، ولذلك تبدو أغراضه التي ظهر من أجلها منهية، وانقض مفعولها السياسي.

وانتهت الدول الأربع إلى ذلك جيداً وحرصت على عدم الوصول إلى نتيجة تؤثر على العلاقات بينها، أو تصطبح معها عوامل لتفخيخها، وجرى استيعاب الفروق النسبية في التقديرات السياسية الظرفية، ولم يتم السماح

## المصالحة حق خليجي وليست حلاً سياسياً فقط

تلك معادلة ثابتة لا يمكن القفز عليها أو نسيانها. ربما سأتهم بالتفاؤل الأبله. في السياسة هناك ما لا يمكن الوثوق به. غير أن تجربة ثلاث سنوات ونصف السنة من المقاطعة لا بد أن تشكل درساً. لا أحد في إمكانه أن ينكر ما انطوى عليه ذلك الدرس من مآثر وحكم.

لقد انتصر الخليجيون على أنفسهم حين قرروا الذهاب إلى المصالحة.

لم يكن ذلك خطأ، فلاخوة ليست خطأ.

أشار بيان الغلا إلى إيران بشكل صريح، غير أن الأخوة كانت هي الأساس في التحريض على اللقاء. لا بد أن تحرص قطر على وجودها الخليجي. هناك فقط تجد عمقها وتؤكد قيمة وجودها. وما قامت به المملكة العربية السعودية من خطوات جريئة في اتجاه المصالحة إنما هو استجابة لحقائق التاريخ والجغرافيا.

ستكون إيران بالنسبة إلى قطر ظاهرة عارضة، فبغض النظر عما أملتة السياسة عليها من سلوك، فإن العودة إلى الأصول هي الأساس.

لم يكن أحد في حاجة إلى التنكير بمبدأ الأخوة. استقبال ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان لأمير قطر كان دليلاً على عبقرية امتزاج الأخوة بالسياسة. لقد قرر الجميع أن ينتقلوا إلى الجانب الأمن.

### الحديث المتشائم عن مستقبل المصالحة الخليجية لا معنى له، فالأمر يتعلق بمصير شعوب هي في حقيقتها شعب واحد

الحديث المتشائم عن مستقبل المصالحة الخليجية لا معنى له. فالأمر يتعلق بمصير شعوب هي في حقيقتها شعب واحد. كانت الإرادة الشعبية سبباً رئيساً في التسريع بالمصالحة التي صارت ضرورية في ظل التحديات التي فرضتها التغيرات التي شهدتها المحيط الإقليمي.

ليس صحيحاً أن تترك قطر وحدها. وليس صحيحاً أن تتخلى قطر عن محيطها الخليجي والعربي.

أوراقاً طويت. وكان من الضروري أن تطوى تلك الأوراق لا من أجل أن يبدو الحل مشرفاً، بل من أجل أن يكون الإجراء حقيقياً وراسخاً. لا أحد يعرف ما الذي قاله الزعماء الخليجيون بعضهم للبعض الآخر. لقد أرهقت الأزمة الجميع. صحيح أن قطر كانت الدولة الأكثر معاناة بسبب تعرضها للمقاطعة، غير أن الدول التي قاطعتها كانت هي الأخرى مثقلة بشعور عميق بتلك المعاناة التي صارت تتعمق من غير أية بارقة أمل كما يُقال.

وإذا ما كانت قطر قد سعت إلى أن تستعيد ثقة الدول التي تقاسمها مصيراً مشتركاً، فإن الدول التي قاطعتها لم تكن تشعر بالراحة وهي ترى جزءاً منها يلون بالغرباء الذين لا تربطهم به صلة حقيقية وصلبة.

لم يساوم أحد دولة قطر على ما هي فيه أو ما تفكر في أن تكونه. ذلك ما أتوقعه. حضر أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني إلى الغلا مرتاحاً وغادراً مرتاحاً. لقد تم ترتيب كل شيء قبل حضوره. ذلك يعني أن لغة السياسة كانت سائدة ولها القول الفصل.

لذلك لا يمكن النظر إلى المصالحة الخليجية إلا من جهة كونها استجابة مزدوجة؛ أولاً لما طرأ على العالم خلال السنة المنتقضية من تغيرات جوهرية. وثانياً لأن الخطر الإيراني لا يهدد دولة بعينها من دول الخليج بل جميع الدول، وليست صداقة إيران مقياساً يمكن أن يُعَد به.

من المؤكد أن بعض الإعلام قد أساء الفهم حين سعى إلى أن يفتح

على السيطرة على معادلة الواردات والإنفاق. كما أن كثيرا من الدول اكتشفت تخالفاً في حماية مواطنيها بسبب ضعف قطاع الصحة فيها. حدثت فضائح لم يتوقع حدوثها أحد. غير أن الأهم من كل ذلك أن البشرية اكتشفت أن ما يجري في مكان ما يؤثر على كل مكان على وجه الكرة الأرضية. ذلك درس عميق في السياسة. ما كان نظرياً صار ملموساً.



علاقات قوية وراسخة

فاروق يوسف  
كاتب عراقي



ليس صحيحاً الحكم على نتائج المصالحة الخليجية بناء على تكهات إعلامية. البيان الذي صدر عن قمة الغلا كان واضحاً في الحديث عن التحديات التي يجب على دول مجلس التعاون أن تواجهها موحدة.

أما الحديث عن الخاسر والمنتصر فهو غير حقيقي ولا يمت بصلة إلى خلفيات وعمق العلاقة بين الدول الخليجية ولا إلى واقع السياسة، لغة ومضموناً وتجليات لن تقيدها ظاهرة ما بحلول جاهزة قد لا تكون صالحة للتطبيق.

ما جرى كان حلاً استطاعت دول مجلس التعاون الخليجي أن تتجاوز من خلاله التعثر بمواقف ووجهات نظر بعينها. ففي عالم السياسة يتبع الإجراء، أي إجراء المتغيرات الواقعية التي تحيط به لا بشكل مباشر فحسب، بل وأيضاً بشكل غير مباشر. وليس أدل على ذلك ما جرى للعالم في ظل انتشار جائحة كورونا. لقد تغير العالم كله. انهارت اقتصادات دول وفقدت دول أخرى القدرة